حكايات الليالي

٧



الطائر المغرّد

وقصص أخرى

دار المعارف

حكايات الليالى
(٧)

الطائر المغرّد
الوَحْشان

بقلم

أمين أحمد العطار

الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى

الطبعة الرابعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج.م.ع.

الطائر المغرد

« حكايات الليالى » حكايات قصها والد على أبنائه الصغار حين كانوا يجلسون معه كل ليلة ، ملتفين حوله ، ويطلبون منه أن يقص عليهم قصة .

وكان الوالد يجيبهم إلى طلبهم ، ويحكى لهم حكاية من حكايات الليالى . . .

وفى ليلة من الليالى قص عليهم حكاية « الطائر المغرد »

كان المعبدُ فخماً جميلَ البناءِ ، شامخاً فى السماءِ ، قد زُيِّنَتْ جدرانُه وسقُفُه بالصور البديعةِ والأَشكالِ الهندسيةِ الرائعةِ ، من الذهبِ والفضةِ ، وتدلَّتْ من سُقُفِه ثرياتٌ من الجواهرِ الكريمةِ ، عُنِى الملك ببنائِه وزخرفتهِ ، فكان تحفةً لا مثيلَ لها فى البلاد . ومع هذا فإنَّ الملكَ كلَّما نظر إليهِ أَو تعبَّدَ فيهِ ، أَصابه

غمٌّ وحسرةٌ ؛ لأَنه كلّما شَيَّدَ بُرْجاً فى مَدْخَلِه تصدَّعَ وانهارَ ، دونَ أَنْ يعرفَ سبباً لتصَدُّعِه وانهيارِه ، فكانَ شغلَه الشاغلَ الذى وقفَ عليه تفكيرَه فى يقظتِه ونومِه .

وذاتَ ليلةٍ رأَى فى منامهِ أَن شيخاً كبيرًا ، مشرق الوَجه ، وضّاءَ الجبين غطَّت لحيتُه البيضاءُ صدرَه ، يرتدى ثَوباً فَضْفاضاً ناصِع البَياض قد اعتمّ بعمامةٍ كبيرةٍ بَيْضَاءَ وقف أَمامَه متكِئاً على عَصَاه ، ثم قالَ :

يا بُنَىَّ لا تَشْغَلْ نفسَك ببناءِ البرجِ ، فلن يَقومَ بناؤه حتى تحضِر الطائرَ المغرِّدَ ، وتجعلَ له مَسكَناً فى أَعلاه ، ثم اختفَى الشيخُ وغابَ عن عينهِ .

استيقظ الملك فى باكورةِ الصباحِ ، ودعا إِليه أَبناءَه الثلاثةَ ، فجاءُوا وقعدُوا أَمامَه ، فقصّ عَليهم



رُؤْياه ، فتنافَسوا فى إحضارِه ؛ لينفِّسوا عن أَبيهم غمَّه وحسرتَه ، ويستمتِعَ ببناء البُرْجِ الذى يريدُه .

فقال أَبوهم : أَحْمَدُ لكمُ تنافسَكُم لإرضائِى وراحتى ، وأَرَى أَن يبدأَ الأَكبرُ فالأَكبرُ . وستكونُ ولايةُ العهدِ لمَنْ يُحْضِرُ الطائرَ منكُم .

حَمَلَ الابنُ الأَكبرُ زادَه ، واتخذ سبيلَه فى الخلاءِ باحِثاً عن مكانِ الطائرِ المغرِّد ، فأَدركه الليلُ وهو قدامَ روضةٍ جميلةٍ ، فعَزَم على أن يبيتَ فيها ليلتَه ، ثم يستأْنفَ مسيرَه وبحثَه فى ضوءِ النهار .

دخل الحديقَة وجلَس على فراشٍ من حشيشِها الأَخضرِ الجميلِ ، ثم أَوقدَ نارًا ، وأَخذ يطهو طعاماً لعشائه . وَبَيْنَما هو يطهو الطعامَ إذْ حضرَ إليه ثعلبٌ عجوزٌ معمر ، فوقف أَمامَه وقالَ :

هل يسمحُ لى سيِّدى بِكِسْرَةٍ من خبزهِ ، وكوبٍ من مائه ، وأَن أَصطَلِيَ على نارِه ؟ فأَمسك الابنُ عصاه الضخمة ، وهوى بها على الثعلب ، فتأَخرَ إلى الوراءِ فى سرعةٍ ، حتى لا تقعَ عليه العصا ، ثم وقفَ ولوَّح بيدِه فى الهواءِ ، وإذا بالابن الأَكبر يُمْسَخُ تمثالا من حجر ،

ثم تركه الثعلبُ وانطلق يَمْشِى فى سَبيله ، غَيرَ آسِفٍ على ما فعلَه .

ولما طالت غيبتُه ، واستيأَسوا من عودتِه ، تقدم إلى أَبيه ، الابنُ الذى يليه ، راجياً منه أَن يأْذَنَ له بالرحيل ، فعسى أَن يكونَ أَحسن حظًّا من أَخيه .

* * *

فرح الابنُ حينَ أَذِنَ لَه أَبوه ، واتخذ السبيلَ الذى سلَكه أَخُوه ودخل الروضَة حينَ غربت شمسُ يومِه ، وجلس على مقرُبَةٍ من المكانِ الذى جلس فيه أَخوه وأَخذ يطهو طعامَه ، فجاءه الثعلبُ العَجوز نفسُه وقال :

أَعطِنى يا سيدى كِسرة من خبزِك ، وكأْساً من شرابك وآئْذن لى أَن أَصطلِىَ على نارِك ، فلم يجب

اضطرارَه ، وهوى عليه كأَخيه بعصاه فلوح الثعلبُ بيدهِ وخطَّ بها فى الهواء خطًّا ، فانقلب الابن فى الحال تمثالاً من حجَرٍ كأَخيه الأَكبر ، ثم غادر الثعلبُ الحديقةَ وخَرَج ، لا يلومُ نفسَهُ على شىءٍ فعلَه .

طالت غيبةُ ابن الملك الثانى ، فهاجت فى نفسه الظنونُ والهواجِس ، وخشِى عَلى ابنيه أَن يكونَا قد ماتا ، أَو نزل ضرٌّ بهما ، وأَصابَه غمٌّ من بعد غمٍّ من بعد غمٍّ ، فعزم على أَلا يسمحَ لابنِه الأَصغرِ بالرحيل ، وحَسْبُه ما نزلَ به من همٍّ ثقيل ، وما أَصابه من المصائبِ الجِسَام فى بُرجه وفى ولَدَيْه.

كان الابنُ الأَصغر يحسُّ ذلك من أَبيه ، وهُو مُصرٌّ عَلى أَن يخرجَ فِى طلبِ الطائر المغرد يتوسَّل إِليه ويستعطِفه مرة فى إِثْرِ مرة .

والأَبُ يأْبى أَن يأْذَنَ له ؛ لأَنه أَصبح بقيةَ أَملِهِ من ذريته ، ورجاءه الوحيد فى أَولادِه . أَلح الابن الأَصغرُ على الملكِ إلحاحاً شديدًا ثم قال :

ائذن لى يا أَبى ، وزودّنى بدعواتِك ، وكنْ مطمئنًّا ، فاللهُ أَرحمُ بك منك على نفسِك ، فأَكرمْنى بتمكينى من برِّك ، والسعيِ فى راحتك ، فلَنْ يهنأَ لى عَيشٌ ، ما دمتُ أَراكَ قَلِقاً غَير مطمئِنٍّ ولا مُسْتَرِيح

أَشفق الملكُ على ابنهِ من أَجلِ هذا الإلحاحِ الكريمِ البارِّ ، وأَذِنَ له ، وزوّدَه برضاه ودعواتِه .

* * *

فرح الابنُ الأَصغرُ ، وغادر المدينةَ فى لمح البصر حتى لا يتحرّكَ الحنانُ فى صدر أَبيه ، فَيمنعه عن السفر ، ويأْمره بالقعُود .

وبعد شهورٍ من مغادرة الابن الأَصغر المدينة عاد الابنُ الأَكبرُ وشقيقهُ الأَوسطُ الذى يليه ، ومعهما الطائر المغرد ، وجاريةٌ حقيرةٌ ، وكَلاَ إليها خِدمةَ الخنازير .

زاطت المدينة بأَهلها فرحاً بقدوم ابْنى الملكِ والطائرِ المغرد ، ولم يلهِهِم فرحهُم عن تذكر ابنهِ الأَصغر الذى لم يُعرفْ له مصيرٌ ولا مستقر ، منذ غادر المدينةَ باحثاً عن الطائر ، فجعلوا يَتَساءَلونَ عَنه ، ولكِنْ طَمأَنَهم عليه عودَةُ أَخوَيه ، بَعد أَن كانوا قَدْ يَئِسُوا مِنْها ، كمَا يَئِسَ الكفارُ من أَصحابِ القُبُور.

أَما الملكُ أَبوه فقد ثقلت عليه غيبتُه ، وأَدمى فؤَاده أَلا يكون ابنُه معهم فى هذا الأَفراح التى عمت أَرجاءَ المدينة .



جئت يا مولاى بالبشرى السعيدة . . .

• • •

بنى الملكُ البرجَ وجعل فى أعلاه مِظَلة جميلة تطل على الغادِين والرائحين ، يتدلَّى منها قفصٌ ذهبيٌّ كبيرٌ ، وضع فيه الطائرَ المغرد .

كان الطائرُ عجيبَ الخِلْقَةِ ، فهو ضخمُ الجسم ، ذو منقارٍ جميل فى لونِ الذهب البراق ، وعينين عسليتين جذَّابتين . وريشٍ ذى ألوان كثيرة متناسقة : تشع منها أضواءٌ مختلفة ، وذنبٍ طويلٍ يزيِّنُه ألوانٌ كثيرة جميلة . ورجلين طويلتين دقيقتين كأنهما خُلِقَتا مِنَ الذَّهَب . .

ارتقب الملكُ وأَهلُ المدينة تغريدَه وشدْوَه فى النهارِ وفى الليل ، ولكن الطائرَ فى صمتٍ عميقٍ كأنه صمت الموتى فى القبورِ . وفى انزواء الخائفِ الهالِع . وفى

وجوم الثاكِلِ الحزينِ . فكان لهذا وقعٌ أَليمٌ ، وحسرةٌ عظيمةٌ فى قلبِ الملك .

• • •

وبينما الملك جالسٌ ذاتَ يومٍ إذ ركعتْ بين يديهِ الجاريةُ التى جاءتْ مع ابنيه الكبيرين ووكلاَ إليها خدمةَ الخنازير ، ثم رفعت رأْسَها وقالت :

جئتُ يا مولاى بالبشرى السعيدة ، فقد سمعتُ الطائرَ يغرد ويشدُو فى الصباح .

فرح الملكُ واستبشَر ثُمَّ قالَ : وما الذى جعله يشدُو ويغرِّد بعد سكوتِه الطويل ؟

قالت الجارية : كنت واقفة تجاهَ بابِ المعبدِ ، فرأَيت راعياً فى ريعانِ شبابه وحداثتِه مقبِلاً إلى المعبدِ ، وما كاد يلجُ بابَه حتى انطَلقَ الطائرُ فى شدوِه وتغريدِه ،

والفرحُ بادٍ عليه ، كأنه عَثَرَ على عزيزٍ يحبُّه ، كان قد فقدَه ، ولما خَرَجَ الراعى من المعبدِ رجَعَ الطائرُ إلى صمتِه ، والتفَّ فى رداءٍ غليظٍ من حزنه وانزوائِه .

قال الملكُ : وما شكلُه ؟

قالت : إنّه فتى حدَثُ السِّن ، وثيقُ التركيب ، لا هُو بالطَّويل ولا بالقصِير ، يبدو عليه آثار سفَرٍ طويل ، يرتدى جِلباباً أزرق ، به خُطوط طولية سَوْداءُ ، وينتَعلُ حذاءً كاد يبْلى من كثرة المشىِ فيه ، وبيدِه عصاً غَليظَة لمْ تُشَذَّب ، يُحيط بوسَطِه نطاقٌ من حَبلٍ أَصْفَر .

فأسرع الملكُ قائلا : وأَيْنَ هذا الرّاعى ؟ إلىّ به الآن .

قالتْ الجاريةُ فى خضوعٍ ومسكنةٍ :

يبدُو لى من شكلِه أنه غريبٌ ، والغريبُ ليَس

له مكان يعرَف ، ولقد سمعتُ أن ولديكَ بعثا جماعة من خلفِه ، ليمسِكُوه ويَقْتُلوه .

غضِبَ الملكُ وقال : ما ألأمكِ من جارية !! وما أبشعَكِ من وَقِحَةٍ !! كيف سوَّلت لكِ نفسُكِ أن تتَّهمى سَيِّدَيْكِ بهذه الخطيئةِ الكبرى ؟! إن هذا لهو الإفْكُ العظيمُ ، اخرُجِى من أمامى أيَّتُها الأفَّاكَةُ الوقحة ، فخرجت الجاريةُ من بينِ يديه وهَى ترتعِشُ من الرعب والخوفِ .

• • •

خشِىَ الملكُ أن يكون فيما قالتهُ الجاريةُ الصدقُ أو بعضه ، فبعثَ الجواسيس سرًّا للبحثِ عن الراعى ، وإحضارِه إليه . ليتبَيّن أمره ، الذى أصبح خطيرًا عنده .

أصبح الراعى مطلوباً لجماعة ابنَى الملك ،

ولعيون الملك وجواسيسه .

وذات يوم وجدَه جواسيسُ الملكِ فى المعبد فأَمسكوه. وبينما هم يسيرُون به إلى الملكِ اعترضَهم رجالٌ غِلاظٌ شدادٌ ، وحاولُوا أَن يأْخذوه من جواسيس الملكِ ويقتلوه ، ولكن الجواسيس استطاعوا أَن يحملوه ويفرُّوا به ، ثم دخلُوا به على الملكِ فى مجلسه ، ووضعُوه بين يَدَيه وأَخبروه أَن عصبَةً من رجال غلاظ اعترضت سبيلَهم ، وحلولوا أَن يأْخُذُوا الغلامَ من أَيديهم غَصْباً ، ولكنهم لم يستطيعوا .

سمع الملكُ هذا. ولكنَّه تلهَّى بالغلام ، فما كاد يراه حتى استبشَرَ به ، وأَحسَّ عطفاً عليه دون أَن يعرِف لذلك سبباً . وكان مجلسُ الملكِ حافلاً برجاله وحاشيتهِ . فقال له الملكُ :

من أنتَ أيها الفتى ؟ ومتى دخلتَ هذه المدينةَ ؟ ولأى شيءٍ جئتها ؟ ولماذا يغرِّدُ الطائرُ حين يراك قد دخلتَ المعْبدَ ، ثم يمسك عن شدوهِ إذا ما غادرتَه ؟

قال الفتى : ستعرف هذا يا مولاى وأكثر مِنْه إذا أذنت لى بسردِ قصتى .

قالَ : هاتِ ما عِنْدَكَ ولا تحجُبْ عنى شيئاً .

• • •

قال الفتى : رأيتُ أبى قد أضنته الحسْرةُ على شىءٍ بعُدَ منالُه ، وعزَّ وجودُه ، وغاب عن المعرفةِ مكانُه ، فلم أُطِقْ صبرًا على هذه الحالِ وفى جسمى نَفَس يتردَّد ، فعزمتُ على أن أخرُجَ فى طلبِ هذا الشيء ، على ألاَّ أعود إلاَّ به ، أو أموتَ فى سبيلهِ ، لأُنفِّس عن والدى كَرْبَه ، وأُريحَه وأسرَّه بإحضارِه ، فما أنا

إلا نعمةٌ من نِعَمِه ، وما أَنا إلاَّ لوالدي متُّ أَو حييت.

فاهتز الملكُ هِزَّةَ طربٍ ولذة ، وقال :

إنك فتًى طيِّبٌ عاقِلٌ ، وبارٌّ وفِيٌّ ، أَتْمِمْ يا بُنَيَّ حديثَك .

قال الفتى : مشيتُ على غيرِ هُدًى ، باحِثاً منقِّباً ، حتى وجدتني ذاتَ يومٍ في غروب شمسِه ، أَمامَ حديقةٍ فسيحةٍ ، فرأَيتُ أَن آوِيَ إليها ، وأَبيتَ ليلتي فيها .

دخلتُ الحديقَةَ وجلسْتُ علي حشيشِها ، ثم أَوقدتُ نارِي ، لأَطهوَ طعاماً لعشائي ، وحانت مني التفاتَةٌ قَصيرةٌ ، فوجدتُ ثعلبًا عجوزًا قد وقفَ بالقربِ مني ، ففزعْتُ إلى عصايَ وأَمسكتُها لأَدفعَه عني إذا ما أَرادَ شرًّا ، ولكنه ابتدرني قائِلا :

هل تسمَحُ لى يا سيِّدِى بكِسْرةٍ من خبزِك ،

وكأس من مائك ، وأن أصطلِىَ على نارِك ، فقد أصبحتُ نهباً لأعداءٍ ثلاثةٍ : الجوع ، والعطش ، والبرد ؟

فقلتُ له : على الرحبِ والسَّعة ، تفضَّلْ ولَكَ ما شئتَ من طعامٍ وشرابٍ ودفءٍ .

جلسنا حولَ النارِ ، وطُفْنَا بالحديثِ على نواحٍ شتَّى ، حتى عرفتُ أن فى استطاعتِه أن يهديَنى إلى الشىءِ الذى أبحثُ عنه لوالدى ، فرجوتُ منه أن يساعِدَنى ويهدِيَنِى إلى مكانِه فقال :

نمْ ليلتَك هذه مطمئِنًّا هادِئاً ، وعند الفجرِ ستجدُنى لديكَ حاضرًا ، وحينئذٍ أرحلُ معك إلى مكانِه .

أنِسَ الثعلبُ بى وأنِسْتُ به كأننا على معِرفةٍ

وصداقةٍ منذُ سنواتٍ مَضَتْ ، ونعم الثعلبُ بالطعام والشرابِ والدفءِ والمحادثةِ الشهية ، ثم استأْذنَ وحيّاَ ، واختفى عن بصرى قبل أَن يخطُوَ فى سبيلِه خطوة واحدةً ؛ فاضطجعتُ مكانى ، وجعلتُ أَفكِّرُ فى ظهورِ الثعلبِ فجأةً ، واختفائه فجأةً ، حتى خَطِفَنى النوم ، ولم أَستيقِظْ إِلا قبيلَ الفجر .

وعلى ضوءِ الفجرِ الخافِت جلستُ أُفكِّرُ فى تماثيل لرجلين وجوادين كانت فى الروضةِ على مقرَبةٍ منى ، وخَطِفَنى من تفكيرِى فيها ظهورُ الثعلب قائلًا :

هيَّا بنا يا صديقى الحميم إلى الرحيلِ . ولما هَمَمْنَا بالرحيلِ انتفضَ الثعلبُ فإِذا هو عمْلاَقٌ عَظيمٌ ، وأَسرعَ يحدِّثُنى ليزيلَ المخاوفَ عنى ، ولأَطمَئِنَّ إلى صحبتِه فقال :

هذه الروضةُ الفسيحةُ روضَتى ، ومعى زوجتى وأَولادى، ولكنَّ حَظِّى أَوقعنِى فى يدِ ساحِر لا يرحمُ ، فَحبسَنِى فى صورةِ ثعلب ، إلى أَن يرأَف بى إنسانٌ ، فيجعَلَنِى أَصطَلى على نارِه ، وأَطعَمُ من خبزِه ، وأَشربُ من شرابه فى روضتى هذِه . وكنت أَنا ياوالدى الإِنسان الذى أَدفأَه فى روضتِه ، وأَطعمَه وسقَاه ، وأَعتقَه من صورتِه السحرية ، ثم قال :

وإنى أُعاهدُك أَلا أَتركَك حتى أَبلِّغَك ما تريدُ .

ثم قال :

ونحنُ الآنَ فى طَريقنا إلى وادى التنانين الذى فيهِ طَلِبتُك ، وهو مسكنٌ لتنانين كثيرة هائلة .

أَخذنا نسرع فى السير نهارًا ، ونستريحُ ليلاً حتى كنا بعد ثلاثةِ أَيامٍ أَمامَ وادٍ جميل ذى أَشجار ونخيلٍ ،

وقصور فخمةٍ رائعة ، وكان هذا الوادى وادى التنانين ، وهذه القصورُ الفخمة قصورُها ، فدخلنا الوادى فى الصباح ، وبينما نحن نمشى بين القصورِ وجدنا فتاةً كأنها من الحورِ العين ، قد جلستْ على كرسىٍّ ذهبى جميلٍ ، فى بهوٍ أرضُه من الرخام الأبيض ، ممتدٍّ أمامَ قصرٍ من القصورِ ، ولكننا لم نجدْ شيئاً من التنانين . وحين رأتنا على مقربةٍ منها نهضت واقفةً وحيَّتْنَا تحية كريمةً ، فسألتُها :

وكيف اخترتِ أن تعيشِي وحدَك فى هذا الوادِى الذى لا أنيسَ به إلا التنانين الهائلة المخيفة ؟

فبكت وقالتْ : خطِفَنى التنانينُ ، وجاءت بى إلى مساكِنها ، وقد لاَح لى نجم الأملِ فى خلاصى من أسرِى حين رأيتكما ، ولا يفوتُنى أن أُحذِّرَكُما

دخولَ قصرٍ من قصور التنانين فى غيبتِها ، ثم سألتنا :
وما الذى جاء بكما إلى هذا الوادِى ، فقلت : أبحثُ عن حاجة فيه ، وأخبرتُها بها ، فقالت :
إنَّها فى قصرٍ من قصورِ التنانين اللائى يَعشْنَ فى وادٍ آخر ، غيرِ بعيدٍ من هذا الوادى ، ثمَ بيَّنتْ لى كيفَ أحصُلُ عليها ، وطلبَتْ منَّا أن نأْخذَها معنَا فى أثناءِ عودتِنَا ، وما تركَتْنِى حتى أقسمتُ لها برأس أبِى ــ وهو أعزُّ شيءٍ عندى ــ أننى لَنْ أرجعَ إلا بها . ثم ودَّعْنَاها وسِرْنا إلى الوادِى الآخر الذى دلَّتْنا عليه . ولما بلغنَا الوادِىَ أخذتُ أُنفِّذُ ما أشارتْ بهِ علينا الفتاةُ الحسناءُ ، وحَذَّرَتْنَا مخالفتَه .

وعلى حدود الوادى نزلنا عن جوادينا ، وتركتُهما فى حراسةِ صاحبى العملاق ، ثم أخذت سبيلى فى الوادِى

راجلاً إلى حظيرةِ الجيادِ التى للتنانين ، وكانت الجيادُ كلُّهن نائمة ، فاتجهتُ إلى جواد منها ، وربَّتُّ بيدى على عنقِه وعركْتُ أذنيهِ عركاً هيناً ، ولكزتُه لكزةً خفيفةً ، فنهض الجوادُ من فورِه واقفاً ، فأسرجتُه وألجمتُه ، وامتطيتُ ظهرَه ، وطرتُ به إلى شرفةِ القصر التى فيها الطائرِ المغرِّدُ داخل قفصِه ، والذى جئتُ فى طلبه ، فخطِفتُه وانطلقتُ بالجوادِ مسرعاً إلى حيث ينتظرُنى صديقى .

• • •

حَدَّقَ الملكُ ببصرِه فى الفتى مَلِيًّا ، ثم نهضَ قائِماً ، فاحتضَن الفتى وقال :

أَنتَ ابنى الأَصغرُ.. أَنت حبيبُ أَبيك، وقرَّةُ عينه ، أَنت ابنى، وأَنا أَبوك .

خافَ الفتى على الجارية التى فى حظيرة الخنازير ، فطلبَ من أبيه الملكِ أن يأْمر بإِحضارها .

فقال الملكُ : لتحضر الجاريةُ فورًا ، فحضرت فى التوِّ والساعةِ ، ثم استأْنف الفتى حديثه فقال :

خَطفْتُ الطائرَ وقفصَه ، وطرتُ بجوادِ التنانين المسحور إلى صديقى ، حيث ينتظرُنى على حدودِ الوادى وحين شَعَرَتْ بى الخيلُ التى فى الحظيرة ، ملأَت الجوَّ صهيلاً فى قوة ، فلم أَلبثْ أَن وجدتُ مئات من التنانين الهائلة تسعى من خلفِى لِتُدْرِكَنِى ، وما وصلتُ إلى صديقى حتى كانتْ قريبة منى ، فَصَرخ فيها صديقى صرخةً مدويةً ، وقال لهن :

قِفْنَ فى مكانِكُنَّ ، فجَمَدْن حيث وقَفْن ، وما تقدَّمْنَ إلى الأَمام شبرًا ، وعرضَن علىَّ حينئذ المالَ

الكثيرَ والمُلْكَ العظيمَ على أن أَرُدَّ إليهِنَّ الطائرَ المغرد ، فأَبيت فى قوَّةٍ ، وقلت لهن : أَبِى عندى أغلى من الدنيا وما فيها. فتوسَّلْنَ إلىّ ، وطلبنَ منِّى جوادهُنَّ المسحورَ فرددته إليهنَّ .

امتطيْنَا جوادينا وانطلقنا إلى وادِى التنانين الأَوَّلِ ، وفيه الفتاةُ الحسناءُ التى عاهدتها على أن آخذها معى فى أثناءِ عودتى ، وقد وجدناها تنتظرُنا على البهوِ حيثُ وجدناها أولَ مرة ، ففرِحَتْ بنا ثم وقفتْ ولوَّحَت بيدِها فى الهواءِ كأَنها تخط خطوطاً مستقيمة وملتويَةً ، فإذا القصرُ يتحَوَّلُ إلى تفاحةٍ صغيرةٍ ، فأَخذَتها ووضعتها فى جيبها ، وأَقبلتْ إلَينا ، فأَركبْتُها خلفِى وانطلقْنا على الجوادَيْنِ راجعين مُسْرِعين .

عرفَت التنانينُ أَن الفتاة قد أخذنَاها ، فانطلقتْ

من ورائنا تسْعَى فى سرعةٍ هائلة . وكلما أَسرعنا السيرَ وجدناها تقترِبُ منا ، فوقفَ صديقى ولوَّحَ فى الهواءِ بيدِهِ وتمتم ببعضِ كلماتٍ ، فإذا التنانينُ تتحوَّل إلى صخورٍ جامدة ، ثم لوى كلٌّ منا عِنَان جوادِه ، وانفلتْنا فى اطمئنانٍ وهدوءٍ ، حتى دخلنا روضةَ صديقى ، وجلسنا حيثُ ابتدأَ تعارُفُنا ، وربطت الصداقةُ بينى وبينه . وفيها أَسبغَ علينا كرمَه ونعمتَه ، وأَقسم علىَّ أَلا أَبرحَها حتى يجيبنى إلى مطلبٍ عزيز أُريدُه .

وبينما أَنا أُفكر فيما أَطلبُه إذ وقع بصرىَ على تماثيلَ منصوبة لرجلين وجوادين فى مكان قريب منّى ، فقلت له على الفور :

أَحب أَن أَعرف كلَّ شىء عن هذه التماثيل الصخرية المنصوبةِ ، فبدا عليه الامتعاضُ والقلقُ ، ثم أَقبل

إلىَّ فى استعطافٍ وقال :

أَرجو أَن تطلبَ شيئاً غيرَ هذا ، فدفعنى امتعاضُه وكراهيتُه لما طلبت إلى أَن أَستمسِكَ به وأُصرَّ عليه ،

فقال : ما كانَ لكَ أَن تستمْسِكَ بشىءٍ يضرُّك ، وما كان لى أَن أُبيِّنَ لك شيئاً عاقِبَتُكَ فيه ندمٌ وحسرةٌ.

فقلت : لِيَكُنْ ما يكون ، فليسَ لى مطلبٌ إلا هذا ، فقال والأَسفُ فى عينيه :

هذان الرجلان أَخواك ، وهذان جواداهما ، فاندهشت وقلت :

وكيف تحوَّلا إلى تمثالَين من صخر ؟

قال الصديقُ : لم يُكْرمانى حين قَدِما روضتى كما أَكرمْتنى ، فقد جئتهما فى صورة الثعلبِ السحرية

ورجوت منهما دفئًا وأكلا وشربًا كما رجوتُ منك ، فكانت إجابتُهما أن ضرباني بالعصا وطرداني ، فكان جزاؤُهما منّى أن حبستُهما فى تلك التماثيلِ الصخرية . وعندئذ يا والدى قَوِى فى نِفسى ، استمسَاكى بمطلبى ، وقلتُ له :

الآنَ لَزِمَتْك إجابتى إلى مطلبى ، فأكرِمْنِى فى أخوىَّ ، وأعتِقْهُما من سحرِهما ، وأعِدْهُما إلى صورتهِما الأُولَى .

قال : وقبل أن أُجيبَك إلى مطلبِكَ ، أرجو أن تأْخذَ منهما حِذْرَك ، ثم أَشارَ إلى التماثيل بيدِه ، وتمتم ببعضِ كلماتٍ ، فإذا بهما يخرجَان من سحرِهما ، ويعود كلّ منهما بشرًا سويًّا ، فقمتُ إليهما ، وعانقتُهما ، وكانت فرحتُنا عظيمةً ، ثم عرفتهما أنى أحضرتُ

الطائرِ المغردَ ، وأنى لا أزالُ فى طريقى به لأَبى . وحمِدتُ اللهَ كثيرًا إذ جمعنى بكُما ؛ حتى تكونَ فرحةُ أَبى كاملةً ، لا يشوبها نقصٌ ولا كدرٌ. ثم ركبنا الجيادَ ، وأردفتُ الفتاةَ الحسناءَ خلفِى ، واتخذنَا السبيلَ إلى مدينة أَبى .

استشاطَ أَخواى غَيْرةً منى وغيظاً ، فائتمرا بى ليقتلاَنى ونحن فى الطريق إليك ، واعترضَ سبيلنَا غديرٌ صفا ماؤُه وعَذُبَ ، وعلى شاطئِه شجرةٌ كبيرةٌ وارفةُ الظلال ، فقال أَخى الأَكبر :

يحسنُ بنا أَن نطفئَ عَطَشَنا ، ونشربَ من هذا الغدير ، فماؤه صافٍ عذب ، ونستجمَّ فى ظل هذه الشجرة ، ثم نستأنف المسيرَ حتى ندخلَ المدينة .

• • •

ملنا إلى الغديرِ ونزلنا فى ظلِّ الشجرةِ ، وتقدم أخى الأكبر إلى شاطئِ الغدير فامتد على بطنهِ ، وأدلى فى الغدير رأسَه ثم شربَ ونهضَ ، وكذلكَ فعل أخى الأوسطُ من بعده ، وتقدمتُ أنا لأشربَ كما شربا ، وبينما أتجرَّعُ الماءَ إذ هوى أخواى بسيفيهما فقطعا ساقىَّ : ثم حملاَ الطائر المغرد والفتاة الحسناءَ ، وانفلتا على جواديهما فى سرعةِ الريح إلى المدينةِ ، أما أنا فقد انقلبتُ إلى ظل الشجرة فى ألمٍ وبكاءٍ ، وجوادى بجوارى يبكِى فى نهنهة وتحمحم ، واحتفظتُ بساقىَّ المقطوعتين ، إلى أن يقضىَ اللهُ فى أمرى بما يريد .

وفى صبيحة اليوم الثانى لمحت رجلاً أعمى يتلمَّس الطريقَ ولا يجدُه ، فأشفقتُ عليه وناديتُهُ ، فجاءنى مهتدِياً بصوتى ، ولما جلَسَ إلىَّ قصَّ قصتهَ فقال :



أنا أحملك فوق كتفى ، وأنت تهدينى إلى الطريق

خدعنِي إخوتى ، وجاءُوا بى إلى هذا العراءِ ، وفقأُوا عينِي ؛ لينهبوا نصيبى من ميراثِ أَبِى ، ثم تركونِى فى هذا العراءِ ورجعوا . ثم قصصتُ عليه قِصَّتى ، وعرف أَن ساقىَّ مقطوعتان ، فقال : الحمد لله الذى قَدَّر ولَطَف ، أَنا أَحملك فوق كتفِى ، وأَنتَ تهدينى إلى الطريق ، وإنى أَعرفُ هنا مكاناً لعقربٍ كبيرةٍ ، ذاتِ رءُوس أَربعةٍ ، ودمها شفاءٌ من كل داءٍ وعلة ، فإذا أَلقيتَ ببصرِك نحو المشرقِ وجدت ربوةً عاليةً ، وفى سفحِها شجرةٌ ذاتُ غصنين اثنين ممدودينِ فى الهواءِ ولا ثالث لهما ، فمددت بصرِى نحو المشرِق وقلت له : وجدتهما وهما على مقرَبةٍ من مكاننا هذا .

فقالَ : هيَّا بِنَا لنخْرُجَ من نكبتنا بدم العقرب.

حملنى الأَعمى ، وجعلت أهديه حتى كنَّا عند

الشجرة ، فقال : انظر فإن وكرَها بجوارِ جذعِ الشجرة ، فنظرتُ وقلت : ها هوذا وكرها على مرأى من بصرِى .

فقال : اختبِئْ فى جذعِ الشجرةِ ، حتى لا تراك وهى قادِمَةٌ ، فإذا ما دنَتْ من وَكرها فَقطِّعْها بعصاكَ الغليظةِ ، وحينئذٍ نأْخذُ من دمِها ، ونبرأُ من عِلَّتِنا بإذن الله .

ارتقبتُ العقرب وهى قادمةٌ إلى وكرها ،فلما دنت منه قطعتُها بعصاى ، وانهمر دمُها من جسمِها فغرفت بيدِى ووضعت على مكانِ البترِ من أَرجلى ، ثم أَلصقت ساقىَّ فعادتا كما كانتا ، وقمت إلى العقرب ماشياً فأَخذْتُ من دمِها ،ووضعت منه فى عينى الرجل الأَعمى فارتدَّ بصيراً ، ففرحْنا وحَمِدْنا الله الذى أَذهَبَ عنا

الحَزَنَ وشَفَانا . ثم سِرْنَا حتى دخلنا المدينة .

لم أَشأْ أَن أَرجعَ على الفورِ إلى قصرِ أَبى ، وأَقصَّ عليه قِصَّتِى ، وآثرت أن أَتَّخِذَ الله وكيلى ليدافِعَ عنى وينصفنى من الخونَة الظالمين . فاشتغلت راعياً عند أَحد الأَغنياءِ ، حتى قُدِّر لى أَن أَدخَل المعبدَ ذاتَ يومٍ ، وكان ما كان مما تعرِفُه حتى جئتُ بينَ يَدَيْك .

• • •

التفت الملِكُ إلى الجاريةِ وقال :

إلى هنا انتهى الأَمير من قصَّتِه ، وما بقى إلا أَن تقُصِّى علينا ما وقع لك .

قالت الجارية :

قطع هذان الأَخوان ساق أَخيهما الذى فك رقبتهما من سحرهما ، وأَعادَ إليهما حياتهما ، ففزعتُ من هذهِ

الوحشيةِ القاسِيَةِ ، ثم اقتسمَا فى الطريق ما نهباه من أخيهما غدرًا وظلماً ، فكان الطائرُ المغردُ من نصيبِ الأَخِ الأَكبر ، وكنتُ من نصيبِ الأَخِ الأَوسط . فأَخذنى عندَه ، وسقانى المرَّ من ظلمِه ، فكنت كلما بكيْتُ أَخاه الأَصغرَ الذى أَنقذنى كما أَنقذَه ، انهال علَىَّ ضرباً موجعاً ، ثم حاوَل أَن يتزوَّجنى ، فأَبيتُ إباءً لا أَرْجعُ عنه ، وإن فقدتُ حياتى ، فعاقَبَنى بأَن جعلنى أَعيشُ مع الحيوانات أَخدُمها وأَرعاها ، فحمدت الله ورضيتُ ، وقلت فى نفسى : لأَنْ أَعيش مع الحيوانات خير لى من أَن أَعيشَ مع رجلٍ يخون أَخاه ، الذى أَعادَ إليه الحياة ، فيقطع ساقيه ليقتله . وكان بعد ذلك ما يعرفه مولاى .

فقال : أَعندكِ حُجَّةٌ تثبتين بها صدقَكِ فيما قصصتِ .

فأَخرجَتْ من جيبها تفاحةً وقالت : هذه حُجَّتى .

قال الملك :

وكيف تثبت هذه التفاحةُ صدقَك ؟

قالت : لو كان يعرفها كما يعرفُها أَخوه الأَصغرُ ما تركها فى يدِى ، ولأَخذها منى عَنْوَةً ، وليتفضَّل مولاىَ إلى الفضاءِ الفسيح أمامَ القصرِ لأُريَه قيمة هذه التفاحة .

خرجَ الملِكُ ومجلسُه إلى الفضاءِ ومعه الجارية فلوَّحَتْ بيدِها فى الهواءِ وتمتمت ببضع كلماتٍ ، ثم أَلقت بالتفاحةِ فى الفضاءِ فإذا هى تنقلب إلى قصرٍ عظيم لم يرَ الملِكُ له مثيلاً .

فأَيقن بصدقِها ، وعهِدَ بالمُلْكِ إلى ابنهِ الأَصغرِ ، وأَقامَ الأَفراحَ وزفها إليهِ . وعاشا سعيدين . أَما أَخواه الأَكبرُ والأَوسَطُ فقد لَبِثَا فى ذُلِّ الغدرِ ومسكنتِه حتى ماتا غيرَ مأْسوفٍ عليهما .

فرغ الوالد من حكاية « الطائر المغرد » ، فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية، حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » . . .
طاب مساؤكم يا أبنائى ، وتصبحون على خير . . .

الوَحْشـان

وكانت الليلة التالية ، فجلس الأولاد ملتفين حول أبيهم مسرورين ، واستمعوا إلى ما يقصه عليهم أبوهم من حكايات الليالى .

وكانت حكاية الليلة حكاية « الوحشان » :

هذه جَزيرةٌ صغيرةٌ قائِمَة فى وَسط المُحيط ، وفى مَعزِلٍ بَعيدٍ عَن المعمور من أَرض وجزر ، وهِىَ جَيدةُ التربةِ مَوفُورةُ المياه ، يقومُ أَهلها بالحَرثِ والزّرع وتُغِلّ عليهم بالثراءِ الواسع والخيرِ الكثير .

وما كان أَهلُها يَأْلمون من شىء فيها ، ولا يُقلق هدوءَهم واطمئنانَهم إلَّا مَلِكُ الجزيرة ، فَقد كَان إنسانًا كأَنّه قد خُلقَ من غير قَلب ، أَو له قَلبٌ

ولكنّه قُدَّ من الصَّخر ، فما كانَ للرحْمةِ مَجرًى فى دَمه، ولا لِلعدلِ مَسْرًى فى نفسِه . ومِثلُ هذا الملِك يكونُ حَريصاً على سُلطانِه ومُلكِه ، حِرصَه على نَفسِه ، ويَخشَى أَن يَنهارَ عَرشُهُ مِن تَحتهِ ؛ لأَنَّه قائمٌ علَى الاسْتبدَادِ والقَسوة ، والظّلمِ والغِلظَة .

والمُلكُ الدائمُ الثابت لا يَقومُ إلاعلَى أُسس مَتينة مِن العَدلِ والرحمة ، ولهذا حرَّمَ الملكُ علىأَهل مدينتَه أَن تتأَلَّفَ لهم جُموع ، أَو تَتلاقَى لهم وفودٌ وجَماعات ، أَو يُحرزَ أَحدٌ مِنهم سلاحًا ، أَو يَخوضُوا بالقولِ فى شأْن مِن شئون المُلكِ ، وسياسةِ المَلِك .

ومعهذا فإِن شبحَ الخَوف من ضِياعِ مُلكهِ وسُقوطِ عرْشِهِ ، وسُوءِ مُنقَلَبه، لا يَزالُ ماثِلا فى نفسِه ، مُسَيطرًا علىخَياله ، حتى ليكاد يراه رَأْىَ العَيْن ، ولَقَد غرّتْهُ قوتُه

المستمدةُ من جُندِه وأَعوانِه ، وتفككُ الأَوصال فى أَهلِ مدينتِه ، وانقطاعُ الأَسباب بين جماعاتِهم .

رأَى ذلك الملكُ فى منامِه ذات ليلة أَن طائرًا أَحمر ، ذَا رأْس كبير أَسود ، قد انقضّ على رأْسِه ، ونَقرهُ فِيه نَقرة غُشِى عليه مِنها ، ثم استيقَظَ فَزِعًا ، ولبِثَ بقيةَ ليلتِه لا يَذوقُ النوم ، ولا يَستقرّ به مَضْجع ، من سُوءِ ما ترَكتْ فِى نفسِه تلكَ الرؤْيا مِن الفَزعِ والخَوف .

ولما جاءَ الصباحُ أَحضر الملكُ أَمهر المنجمين والمفسّرين للأَحْلامِ منِ أَهل مدينتِه ، وقَص عَليهم رُؤْياه ، وأَمَرهم أَلَّا يخفوا عليهِ شيئًا مِن تَأْويلها وتَفسيرها .

فلما قَصّها عليْهم ، عرفَ كبيرُهم فى الحال

تـأْويلها ، ولكِنه كظمَه فى نفسِه وقال :

إنْ أَمهلَنا مولانا الملكُ لَيلتَين أَوثلاثًا ، لننظرَ فى النجوم ، ونستعرض فى الرؤْيا الوجُوه ، ونَستلْهم العِلم والخِبرة ، سَلِمَ تـأْويلُنا ، وصَحّ تفسِيرُنا .

قال الملك : أَمهلتكُم ثلاث ليالٍ ، لا امتداد لها ، ولا أَجل لكم بعدَها . وإِن لم تـأْتونى بتفسِيرها فى موعِدِكم هذا قطعتُ رءُوسَكم ، وصلبتُ أَجْسادكم ، لتكونوا عبرةً لغيركم .

قال كبيرُهم : سنـأْتى مولانا فى مَوعِدِنا هذا ، بما يَهدينا إِليه بحثُنا وعلمُنا وخِبرَتُنا ؛ ثم أَمرهم أَن يذهبوا إِلى شَأْنِهم، على أَن يُوافُوه فى المَوْعدِ المضْروبِ بتـأْويل رُؤْياه .

انصرفَ المنجمون والمفسّرون ، فذهب بهم

كبيرُهم إلَى دارِه ، وهُناك جمَعهم فى جَلسةٍ سرية وقال لهم :

هذه الرؤْيا نَذيرٌ بموتِ الملكِ وانتِهاءِ عَهدِه الأَسود ، وحُكمِه الظالم ، وإنا لنخشَى على أنفسِنا مِن سَيفه إذا نحنُ صارَحناه ، وصَدقْنا مُخلِصين فى تَأْويل رؤْياه ، وقَد طلبتُ مِنْهُ أَن يُمهلنا ثلاث ليال لأَتمكن من الاجتماع بكمُ ، وتدبيرِ أَمر ينجِّينا من يَدِه ، فإنه غشومٌ ظالم ، لا أَمانَ له ولا وفاءَ ، فماذا تَرون ؟

قال أَحدهم : لا نخلص له فى تَفسيرِ حُلمِه ، ونَقول له : حمرةُ الطير دليلٌ علَى الحياةِ القَويَّةِ ، التى كلها صحة وعافِية ، ونقرُ الطائرِ رأْسَه دليلٌ على أَن تلكَ الحياة القويَّةَ مَبْعثُهَا الاستمتاعُ بالطعامِ والشراب ،

ثم نعيشُ بهذا التأْويل فى أَمن من ظُلمِه ، فإِذا دهمه الموت الذى تُنذِرُ به رؤْياه فلنْ يُصِيبَنا شرٌّ من بعدِه لأَن أَهلَ المدينَةِ أَجْمعين يتَمنّونَ موتَه ، وسيحمدونَ لنا ذلكَ التَّضْليل الذى أَبعدَه عن أَن يأْخذَ حِذرَه ، وأَلهاه عن الاستعداد لما يجيءُ به غَدهُ ، من مصائب الزمانِ ومحَنِه .

قال كبيرِهم :

ذلك قولٌ سليمٌ لَو دعيتَ أَنت إِلى التأْويل وحْدَك ، ولم يَطَّلعْ أَحدٌ على سِرِّك. ولكنَّنَا كما تَرى جَماعة ، والسرُّ بينَ الجماعة فاقدٌ صوْنَه ، ينِمُّ عنهُ حجابُه .

قال أَحدهم :

وما عَلَيْنا إذا نحنُ صارحْناه . وصدقْناه تأْويلَ رُؤْياه ؟

قال كبيرُهم : سيَدْفعُه الحرصُ على نفْسِه ومُلكِه إلى أَن يقْتلَنا شر قِتْلة ، لأَننا فى رأْيِه قَدْ عرفْنا السَّبيل إلى مَوتِهِ ، فَهو يَخْشَى أَن يكونَ لنا يدٌ فى تدبيره ، ونحنُ إذ ذاك بادرة الخطرِ عندَه ، ومن الهيِّنِ عليهِ أَن يَمحوَ بقتْلِنا تِلكَ البادِرة .

قال أَحدُهم : وماذا تَرى أَيها الكبيرُ المجرّبُ الملْهَم ؟

قال : أَرَى أَن نحمِيَ الموجودَ من أَهلِ مدينتِه الان ، ونَعصِم دماءَهم من سَيفه ، ونقولَ له :

سيولد فى مدينةِ مولانا الملك غُلامٌ لمَّتُه كثيفةٌ

سَوداءُ ، وتحتَ ثديهِ اليسرَى شامةٌ صغيرةٌ حمراءُ . يكونُ بادرةَ خَطر على مُلْكِ مولانا ، ومبعثَ متاعبَ لا علمَ لَنا بمدَاها ، إذا أَخلى مولانا الملكُ سَبيله ، هَزّ العرشَ بيمينِه ، وأَطاح الرءُوس بسَيفِهِ ، فإذا وقع فى يد مَولانا وهو فى مَهدِه فإن عِلْمنا يُوصّى بوضْعه فى صُندوق مقفل ، وإلقائِه فى اليَمّ ، وبذلكَ يكونُ مولانا فى مأْمن مِن خَطره ومتاعبه ، واستمرّ كبيرُهم يقول :

وبذلك نكونُ قد صَدَقناه فى تأْويل رؤْياه ، وحَميْنَا أَهلَ المدينةِ وأَنفُسنا من شَرّهِ وأَذَاه ، وتركْناه يبحثُ عن هذا الطفل فى المواليدِ الجديدَة . فإن عثر به فَقدْ خَطفْناه مِن يدَيه ، ووضَعناه فى الصندوق المحكم ،

وأَلقَيناهُ فى اليَمِّ إلى مَن خَلقَه ، ليكفُلَه أَو يقضِى فِيه أَمرَه ، فاستَبشرُوا جَميعُهم ، ورَضُوا لأَنفسِهم هذا الرأْىَ الرشيد ، والمَخرجَ السّديد .

وفى الموعدِ المضروب كانَ المنجمون والمفسرون فى حَضرةِ الملِكِ .

قال الملك :

لَعلكُم اهتديتُم إلى تفسير تِلك الرؤْيا التى أَزعجتنا ، وباعَدتْ بَيْننا وبين هُدوءِ أَنفسِنا .

قال كبِيرهم : وكيفَ لا نَهتدِى ونحنُ نَسيرُ فى أَعمالِنا على نُور من إخْلاصنا لمولانا ؟ !

قال الملك : وماذا وجدْتُم ؟

قال كبيرهم : وجَدنا تـأْويلا لا رَيبَ فيه .

قال الملك : وما هو ؟

قال : إن لمولانا الملك منزلةً سامية فى نفوسِنا ، وقد امتزَجتْ بدِمائِنا محبتُه ، ونبضَتْ قلوبُنا بالولاءِ لَه وطاعتهِ ، وذلكَ ما حَبَّبَ إلينا أَن نقطعَ الليلَ كُلَّه تحتَ النجوم ، نتبادلُ النظَرَ ونتجاوبُ الهَمس ، وأَن نَقضِى شطرًا منهُ فى نَبشِ علومنا وتجاربنا ، حتّى هُدِينا إِلَى تأْويلٍ سليمٍ خَلُصَ جَوهرُهُ من شوائِبِ الظن والشَّك ، وهُو ما أَسرده الآن علَى مَسْمَعَى مولانا الملك :

سيولدُ فى مدينة مولانا الملِك غُلامٌ لِمّتُه كَثيفة سَوْداءُ ، وتحت ثَديهِ اليُسرَى شامةٌ صَغيرةٌ حَمراءُ ، يكونُ بادرةَ خطر علَى مُلك مولانا ، ومَبعث متاعِبَ

لا عِلمَ لَنا بِمَداها ، إذا أَخْلَى الملكُ سَبيلَه ، وتَركه حتّى يَبْلغَ مَبلغَ الرجُولَة ، هَزَّ العرشَ بِيمينِه ، وأَطَاحَ الرؤوس بسَيفِه ، فإذا وقَع فى يدِ مولانا وهو فى مَهدِه فإن عِلْمَنا يُوصِّى بِوَضْعِه فى صُندوق مُقفَل وإلقائِه فى اليَمّ ، وبذلك يكونُ مَولانا فى مأْمَنٍ مِنْ خَطرِه ومَتاعِبه ، ويَبقَى عَرشُه ثابِتاً قوِيًّا .

ذلك هو التأْويل يا مولانا وتلكَ هى الوصِيّة ، حَفِظ اللهُ مُلكَك ، ونَصركَ على عَدُوِّك ،

قال الملك :

قد فَهمنا ، وعلينا من هذا الحين أَن نُفتِّش المواليدِ ، ونَفحص كلَّ مولود ، حتى يَقع فى أَيدينا ذلكَ الغُلامُ الخطيرُ المتعِب ، لنُلقيه فى اليمِّ إلى حيثُ لا رجْعة له .

ثم أمرهُم أَنْ ينصرِفُوا ، فخرجُوا من عندِه شاكرِين لكَبيرهم نجاتهم ونجاةَ أَهل المدِينةِ الأَبرِياءِ مِن يَدِ الملكِ الأَثيمة الظالمة .

أَما الملكُ فإنه اجتَمع بوزرائه ، وكانوا علَى دأَبِ مَلِيكهم فى الغِلْظة ، ومُجانَبةِ العدْلِ والرحْمة ، وشهدوا المفَسرين وهم يَذكرون التأْويل والوصية ، فقال لهم :

لقَد علمتُم من أَمرِ رُؤْياى وتأْويلها ما علمتُم ، وأُريدُ أَن يُفحَصَ كل مولودٍ يُولدُ فى مَدينتى ، حتى نعثُر على ذلكَ الغلامِ الذى أَقضّ مضاجِعَنا ، وبَلبلَ خواطِرنا ، لنُلقيَهُ فى اليمِّ ونستَرِيحَ من شرِّه .

قال كبير الوزراءِ ، وكان رجلا مُعمرًا عالجَ من شئون

الحياة ومشاكِلها ما جَعله بعيد النظر ، بارعَ الحيلة ، غير مسبوقٍ فى المكر والخديعة :

يُصْدِرُ الملكُ أَمرًا يقول فيه :

لقد تَنَبّأَ المنجمون بأَن المدينةَ مقبلةٌ على عهدٍ سعِيدٍ ينْعَمُ فيهِ أَهلها بالثراء الواسِع والنّعيمِ الدائِم . وذلكَ على يدَىْ غلامٍ سيولدُ ، ويكونُ ذا لمّة كثيفة سَوداءَ ، وشامة صغيرةٍ حَمراءَ تحتَ ثديه اليُسرى ، فَمن يولد له هذا الغلامُ فليُخبِرْنا بمولدِه ، وليسْعَ إليْنا به لنَمنَح والدَيْه جائزةً سَنية ، ونمدهما بالمالِ الكثيرِ حتّى يقومَا بِتربيتِه تربيةً كامِلة ، فى رخاءٍ من العَيش ، وسَعةٍ مِن المال ، وعِزةٍ فى المنشأ ، وحَتّى يخْطُوَ فى حياتِه خطَواتٍ سريعةً لنعجل إلى

المدينة بالخير الذِى سَيأْتِيها على يَدَيه.

ثم استَمر كبيرُ الوزراءِ يقول :

وبهذا الأَمر يا مولاى لا نخْشَى أَنْ يُكتَم مَولدُه ، فكلّ أُم وكلٌّ أَب يَتمنّيانِ أَن يكونَ لهما هذا الغلامُ الميْمون ، وسيسْعيانِ بِه إِليكَ سعْيًا ونحنُ هاجعُون ، فإِذا ما وقع فى أَيدينا فأَمرُه يومئذ لمولانا الملك .

قال الوزراءُ :

تلكَ أَبرع خَديعة لا عُقْم فِيها ، وكثيرًا ما وَجدْنا فى جُعبتِك المخْرجَ الذِى لا نجدُه عِند أَحد غيرِك .

أَمرَ الملِكُ فى الحال فكُتِبَ الأَمرُ وخَتَمَه بخاتمه ، وأَمَر بنَشره وإِذاعتِه فى المَدِينَةِ وتَتَبَّعُوا صداه وأَثَرَه فى

البيوتِ والمجالِس والأَسواق ، وعِندِ الآباءِ والأُمَّهات ، فوجدوا كلَّ فَردٍ في المدينَةِ يتمنَّى أن يكون له ذلك الغُلامُ الميْمونِ، الذِي سَيسْعدُ به والداهُ وأَهلُ المدينَةِ، فاطمأَنَّ الملكُ ووزراؤُه ، وارتَقبُوا ذلكَ اليومَ الذى يأْتيهم فيه هذا الغلامُ على يَدَى والدَيْه ، دونَ تعَب ولا مشقة.

كان فى المدينةِ رجلٌ فقير ، يعيشُ هو وزوجتُه فى دارٍ صَغيرةٍ ، يبدُو عَليها آثارُ الفاقة ، وكان هذا الرجلُ يأْتيه الكفافُ من الرزقِ له ولزوجتِهِ من مَتجَرٍ صَغير غَير نافق ، وشاء القدرُ أن يولدَ لهما هذا الغُلامُ ، ذو اللّمةِ الكثيفَةِ السوداءِ، والشامةِ الصغيرةِ الحمراءِ ، تحت ثديه اليُسْرى. وحينَ وجدا فيه

هاتين العلامتَيْن فرحا به ، ولكن فَرحَ الأُمِّ يشوبُه شيءٌ من القَلَق ، وسَمّياه بشيرا .

قال أَبوه :

دَعيني أَذهَبْ به إلى الملك ، لنحظَى بالجائزة السّنية ، ونملأَ عشّنا هَذَا بالمالِ ، والغِنَى .

فشَخصتْ إليه زوجتُه طويلا ثم قالت :

لا أُحسُّ من نفسِى راحةً ورغبةً فى أَن نخبِرَ الملكَ بمولده ، أَو نَسعى إليه بِه .

قال الرجل :

لا تطاوِعِى هواجسَ نفسِك ، فالأَمرُ جلِّيٌّ واضِح ، وما دامَ الخيرُ يَسْعى إلينا فمِن البلَه أَن نَفِر من أَمامِه وأَن نُقيم السّدودَ فى طريقه بينَنا وبَيْنَه .

ثم حملَه أبوه إلى قَصرِ الملِكِ ، والأَملُ فى الجائزة السنيةِ والمالِ الكثير يملأُ صدرَه .وحينَ وضعه بين يَدَى الملك ووزرائِه أَشرقتْ وجوهُهم فرحًا ، وكان كبيرُ الوزراءِ أَكثرهم فرحًا ، إذْ صَدقَتْ خديعَتُه وأثمرتْ حيلته ، وما فاته أَن يستمِرّ فى خداعِه ، فقال :

يحسنُ يا مولاى أَن يبقى هذا الغلامُ فى قَصرك يتربّى فيه وينشأُ نشأَة الأُمراءِ . فذلكَ أَقلُّ واجبٍ نقدمه لغُلامٍ ستكونُ حياتُه للمدينةِ نعمةً ورحْمة .

أَما أَبواه فَلهما عندَ الملكِ أَن يغمرَهما بإحْسانِه ، لأَنَّهما أَنْجبَا هذا الغلامُ الميْمون .

أَمر الملك أَن يَبْقَى الغلَامُ فى قصرِه ، ومنَحَ أَباهُ منحةً ماليةً تملأُ نفسَه غِبطة .

أَخذ الرجلُ المِنْحَة ، وترك ابْنَه بشيرًا فى قصر الملِك ، ورجع إلى بيته ، وقَصّ علىَ زوجتِه ما حَصل .

قالت زوجته :

أَما أَشرتُ عليك أَن نكتُمَ أَمرَه ، ولا نَسعى به إلى هذا الملك ؟ إننى أُحسُّ قَلقًا علَى ابْنى ، وبى خوفٍ عليه من هذا الملك الذِى لا تعرفُ الرحمة إلَى قلبِه سَبِيلا ، ولو كان الأَمرُ بيدِى ما تركتُه عندَ الملِكِ طرفةَ عين ، ولكنّنِى لا أَملكُ يا ولَدى مِن أَمرك شيئًا ، وقد استودعتُك ربِّى ، فهو القادرُ علَى أَن يحفَظكَ ويرعاك . ثم أَجْهشَتْ بالبكاء وقالت :

لقَد رزقتنا به يا رب ، فاحفَظْهُ من شَرّ هذا الملك الظَّالِمِ ، وأَرْجعْه إلَيْنَا سَالمًا .

قال أَبوه : أَلم تَرَىْ هذا المالَ الذى منَحنا

الملكُ إياه ؟ إن مِثلك لا ينبَغى أَنْ يحزَن ، فإن ابنَكِ سيربيهِ الملك فى قصره تربية الأُمراء ، حيثُ الخدمُ والحشمُ ، والفرشُ الوثير ، والخيرُ الكثير ، وغداً سَتسْعدِين به ، وتكونين سيدَةَ النساءِ بفضْلِه .

قالت : كأَن ما تحكِيه الآن فى نفسِى حَقٌّ يرادُ به باطِل ، ولستُ مطمئنّةً على ابْنى ، ولهذا فإنِّى أَضرعُ إلى ربى الذى خلَقَه ، أَن يحفَظَه من كلِّ شرٍّ يراد به ، أَو مكيدةٍ تدبَّرُ له .

قال الأَب :

أَنت أَكثَر منى تأَثُّرًا بأَحاسيس النَّفْسِ ، وأَحاديث القلب ، فقَد أَحسَسْتُ من نفسِى ما تُحسّينَه الآن من الخوف على ولدِى ، ولكنّى أَغفَلتُه وأَغضيْتُ عَنه ، وهَبينِى عَصيت أَمر الملك

وتشبثتُ بابنِي ، وامتنعتُ عن تركِه فى القصر مُتَحدّيًا بذلك رغبةَ الملك فماذا كنتِ تتوقعين ؟

قالت: كان قد قتلك وابنَك وخَسِرتُكما وفجعتُ بموتِكما ، وحسَنًا فعَلت، واللهُ القَوىُّ القادرُ يرْجعُ ابْنَنَا إلَيْنا ، ويرُدّ كيْدَ المَلِك وظُلْمَهُ عنَّا .

أما الملك فإنه أمرَ كاتِمَ أسْرارِه أن يضَعَ الغلامَ فِى صُندوقٍ ويُحكمَ إغْلاقَهُ ، ثُم يُلْقيَهُ فى اليَمِّ خِفْية، دُونَ أنْ يَشعُر به أحد، فَصدعَ بأمر مَلِيكِه .

وفى جَوف اللَّيل خلصَ بالصّندوق من القَصْرِ خِفية ، وأَخذَ يَمشِى فى طريقِ السرِّ الذى بينَ المُحيط والقَصر ، حتى كانَ على شاطِئِ المُحيط . وهناكَ أَلقاه فى اليمّ ، وكأَنَّما كان اليمُّ يترقَّبهُ وينتظِرُه ، فاستكانَ وهدأَ ، وتلقاه على صدر ليّن.

ساكن ، كأنه صَفحةُ المرآة ، وأشفقت الريح علَى هذا الغُلام البَرِىء فدفعتْهُ بيديْن رفيقتين إلَى أعْماقِ اليم حتى اختفَى عن ناظِرَى كاتِم السّر ، وأيقنَ أنَّه لا رجْعَةَ له .

ثم مالتْ به الريحُ متجِهةً إلى الشاطئ فى مكانٍ بعيد ، وهناكَ علِق بشبكةِ صياد منْ أهل تلك المَدِينة ، فلما ألْفاه فِى شَبكتِه ظنَّ أن فِيه كنزا فأسرع إليه وفتحه ، واندهش حين وقعَ نظرُه فِيه على غلام قد اسْتلقى على ظهرهِ ، وهو ينظرُ إلى الصياد بعينيْن تشعانِ اسْترحامًا واسْتِغاثة ، وقد علَتْ شفَتيْه ابتِسامةٌ تبعثُ فى النَّفسِ اليُمنَ والغِبطة فأسْرعتْ يداه إلى التقاطِه مَدْفُوعتيْن بعامليْن قوييْن :

الإشفاقُ عليْه ، والخيرُ الكثيرُ الذِى يُبشّرُ بِه هذا الثغرُ الضاحِك .

ثم أَلْقى بالصّندوق فى اليم ، فساقته الريحُ فى الحال إلى أَعماقِه ، حتَّى لا يكون له ذكر ولا أَثَر عندَ أَحد من أَهلِ المدينة ، ثم حَمل الغلامَ ورجَع به إلَى دَارِه ، وهُناكَ تلقَّتْه زوجتُه علَى عادتِها ، وكانت دهشتها حينَ وجدَت مَع الصّيد ذلكَ الغلامَ الذِى ابتَدرها بنظرتِه وابتسامتِه ، كما ابتدَر زوجَها بِهما حين وَجَدَه ، وكانتْ أَسْرع من زَوجِها إلى التقاطِه ، فحملتْه وضمتْه إلى صدرها وجَعلتْ تقبّله ثم قالت :

مِن أَينَ لكَ هذا الغلامَ الذى لوجْهه طلعةُ البدْر ؟ وما حكايتُه ؟

قال : أَلقيتُ بشبكتى فى اليمِّ كعادتى ، ولما أَخرجتُها أَلفَيتُ فيها صُندوقًا مُقفلا ، فظننتُ أَن فِيه كنزًا ، ولما فتحتُه وجدتُ هذا الغُلامَ قد اضطجَع فيه ، وابتدرنى بنَظرةٍ تكادُ تنطقُ مستغيثةً مسترحمة ، وابتسامة حلوة تملأُ النفس غبطة ، فحملتُه وأَسْرعتُ به إِليْكِ ، بعد أَن أَلقيتُ الصندوق فى اليم ، ولقد عجبتُ حين أَلفَيتُ الريحَ قد اختطفَتْه فى الحال ، وساقتْه إِلى أَعماقِ اليم حتى اختَفى عن بَصرِى ، فحدّثتنى نفسِى فى الحال أَن القدرَ يُريدُ كِتْمان أَمر هذا الغُلام ، والقيام على تربيته حتى يشتد ساعِداه ، ويتمَرَّسَ على شئونِ الحَياة ، وقد اختارَنا القدرُ لهذا الغلامِ البَرىءِ لنَغسِل عنْه ظلْمَ الإِنسان ، ونُنَشِّئَه فى ظلال وارفةٍ من رحْمةِ الإِنسان .

قالت : ذلكَ ما أَضْررت عَليه حين ضممْتهُ إلى صَدرِى ، وكنتُ عازمةً علَى أن أستأْذِنَك فيه ، وما دامتْ هذه رَغبتُك فماعَلىَّ إلّا أنْ أُطيعَ داعِيَ قلبى وأُطِيعَك . فاخترْ لهُ ما تشاءُ مِن الأَسماءِ فقدْ تبنّيناه ، ولعلّ القدرَ قد اختارنا له ليُعوضَ ما فاتنا بسَببِ هذا العُقْم الذِى لبثنا فِيه إلى هذا الحِين .

قال : نُسَميه مبروكًا .

قالت : وسيكون لنا مَبعث خير وبركة . ومشرق غبطةٍ وهناءة .

أَخذ مبروك ينمو ويترعرعُ على مهادٍ وثيرَة من حَنان ومَحَبةٍ وحُسْنِ رعايةٍ وكفالةٍ لأَبَوينِ كريمين ، وشَبَّ مبروك فارعاً قوِى الجسْم مَفتول العضَل

شديدَ العصَب ، ومكَّنه الصيادُ من الاستجابة لِمَواهِبه ، فتَمَرَّس على فنونِ البطولة والشجاعة حتى كان بطلا لا يُشَقُّ له غبار ، ولا يوطأُ له قَدم .

كانت مدينة هذا الملك الظالم هذا ابتليَتْ بوحْشٍ ضَخمٍ له هَيكل ثَورٍ ذى سَنامَين فوق ظهره ، وله أَرجلُ الأَسَد وذنبه ، ومخالبه ، وله رأْس كرأس الفيل وخرطوم طويلٌ كخرطومه ، وله عَينٌ واحِدة فى وسَطِ رأسِه .

وكانَ هذا الوحشُ يسكنُ فى غابةٍ موحشة منعزلةٍ فى ناحية من نواحِى الجزيرَة ، وكانَ يهجُمُ على المدينةِ من حين إلى حِين ، فيفترسُ من يَقع فى يَديْه من أَهْلِ تلكَ المدينة ، ذكرًا كان

أَو أُنثى ، كبيرًا كان أَو صَغيرًا ، وما كانوا ليسْتطيعوا له صَدًّا ولا دَفْعاً ، لأَنَّ له عَيْنًا واحدةً فى وَسَطِ رأْسِه ، ينبعثُ منها شُعاعٌ لامعٌ أَحمرُ ، إِذا التقَى بنظر إنسان جَمدَ هذا الإِنسانُ فى مكانه كأَنه تمثال من الصخر ، حتَّى يهجُمَ الوحشُ علَيْه ويلفه بخرطومه الطويل ويرجع به إلَى الغابة حيث يتخذُ منه غذاءه .

وكانَ ملكُ المدينةِ قد ضجّ وأَخْفَقَ فى القضاءِ علَيْه بَعد أَن أَفْنى كثيرًا من الجنودِ والفرسان وشُجعان المدينةِ الذين كانوا يتنافسُون فى اصْطياده والفتكِ به ، ليُسَجلوا أَسماءَهم فى سِجلِّ البُطولةِ الخالد ، وليكونَ لَهم أَشرف أُحْدوثة فِى فَم الزمان .

كان فى المدينةِ امرأَةٌ عَجُوز ساحرَة ، مَرتْ

بعُمرهَا على أَجيالٍ عِدة ، وعَرفتْ من أَخبار الماضِين وأَخبارِ الجزيرةِ ما لم يعرفْه غيرها ، وكان منزلُها مجاورًا لمنزل الصياد ، وبينهما جدارٌ صنَعَتْ فِيه ثقبًا صَغيرًا لا يكاد يبين لِأَحد ، لأَنه لا يلفت النظر إِلَيْه ، وكانَ هذا الثقْبُ يُمكّنها من الاستماعِ إلى ما يَدورُ من الحديثِ بين الصّيادِ وزوجَتهِ ، وعَرفتْ بذلكَ أَمرَ الْغُلام ِ من وَقت العثور بهِ حَتى كان شابًّا فَتِيًّا ، كما عرفَت أَن له شامةً صَغيرةً حَمراءَ تحت ثديه اليُسْرى ، من حديث الصياد وزوجتهِ ، ورأَتْ هِى لمتَه الكثيفَةَ السوداء ، فعَرفتْ أَنه الفتى الموعود بقتلِ الوحْشِ وقتْل الملك الظَّالم ، وإزاحةِ هذَين الكابوسَيْن عن صَدرِ المدينَة ، ولكنّه

لن يستطيعَ شيئًا أمامَ هذا الوحشِ إلا إذا أَمَدَّتْه بمعونتها ، غيرَ أَنَّها لنْ تُقدِّمَ تِلك المعونَة إلا فِى حِينِها ، وجَعلتْ ترقبُ فِى يقظةٍ ذلك الوقتَ الملائِمَ لتقْديم تلكَ المعُونة .

كان الملكُ قد بلغَ بهِ اليأس مداه وغايته ، فأَعلَن أَنَّ من يقتلُ هذا الوحْش من أبناءِ المدينةِ زوَّجه ابْنَته وأَشركَه فى حُكمهِ ، وفتَح بذلكَ باب التنافُسِ بعد أَن أَغلقَه اليأْسُ والقنوط والعَجز فى وجُوهِ الشجعان من أَهل المدينة ، وتقَدَّم فتيانٌ وفتَيات فذهبُوا مع أَمْسِهم الدَّابر ، وكانوا طعامًا لهذا الوحْشِ الكاسِر .

عرفت العجوزُ أن الفتى مَبروكًا عزم على أن

يخرج إلى الوحْشِ ليأْتِي أَهلَ المدينةِ برأْسِه ، فنادتْه إلى بَيْتها ، وخَلَتْ به فِي مكان بَعيدٍ عن الأَسماعِ والأَبصارِ وقالت له :

إنّك لنْ تستطيعَ لهذا الوحشِ لقاءً حَتَّى تَتحصّن ، وحِصنُك فى يَدِي .

قال : ولكِ يا أُمى كُلُّ ما تحِبّين مما تستطيعُه يَدَايِ ما دمتُ حَيًّا إن وهبْت لى هذا الحِصْن ، لأَقْتلَ هذا الوحْش .

قالت : لِتَقتُلَ هذا الوحْشَ ، ولتقتُلَ وحشًا آخَر أَشد منه فتكًا ، وأَعْظَم ظُلمًا .

قال : ومَن هذا يا أُمّى ؟

قالت : ملك المدينةِ الظالم الذى جاوَزتْ

أَخْطارُه أَخْطارَ الوُحُوشِ الضّارِية ، ومن أَجل هذا دعَوتُك وخَلوْتُ بِك ، ليكُونَ الأَمرُ سِرًّا بَينى وبيْنَك .

قال : لم يُفارق السّرُّ حِرزَه ، ولم يَبرحْ مَوطِنَه من قَلبِك . وما مِفتاحُه إلا لسانُك .

قالت : أَبْشر فإنَّك الموعودُ بِقتل الوَحْشَين : وحْشِ الغابة ، ووحْشِ المدينَة، وسيئُولُ ملكُها إليك ، وَسيسْعدُ أَهلُها علَى يَدَيْك .

قال : لكِ أَيَّتُها الأُمّ الكريمةُ شكرى ، ولن أَذهبَ إلى الوحْشِ حتّى تأْمُرِينى .

قالت : ستَذْهَبُ إليه اليَوم ، وهذا مِنظارٌ مسحورٌ من الزّجاج ، لا ينْفذُ منهُ شعاعُ عَينِ الوحْشِ الأَحْمر الذِى إذا ما التَقى بنَظَر إنسانٍ جمَدَ

فِى مَكانِه كالصّخر ، فضَعْ هذا المنظَارَ علَى عَيْنَيْك ، واهجُمْ بسَيفِك علَى الوحْشِ حيثُما كان ، فإنه لا يحركُ ساكِنًاحتى يكون فى مُتناول سَيفِك ، اعتمادًا منْه على شعاعِ عَينِه الذِى يُحيلُ الإنسانَ إلَى تمثال من الصّخر إذا ما التقَى بنظرةٍ من نظراته ، فإذا كانَ الوحشُ فى متناول سَيْفك فاضربْ عنقَه ضربةً قويةً عاجلة تفصلُ رأْسَه عَنْ جَسدِه ، ثم احملْ هَذا الرأْسَ وارجعْ به إلى المدينة التى ستلقاكَ بالحفاوةِ البالغَةِ والتكريم العظيمِ .

والآن وجَب علىّ أَنْ أَطلعَكَ على حقيقةِ أَمرِك ، وأَعرّفَكَ والديْكَ اللذيْنِ أَنْتَ من أَصْلابهما ودمائِهما ، وما فَعله الملك الظَّالم بك ، وكيفَ يكون مَصيرك فى يَدِه إنْ عرفَكَ ، فاسْمَعْ منّى وافْهم :

إنَّ لكَ اسْمَيْن ، أما أَحَدهما فهو بشير عند والديك اللذيْن جئتَ من أَصلابِهما ودمائِهما .

وأَما الثانى فهو مبروك عند والديك اللذين نشأْت فى حضانتِهما وكفالتِهما ، وربَّياك حتّى بلغْتَ رشدكَ وقوتَك ، وأَصبحتَ بطلا يذودُ عَن الحِمَى ، ويركَن إليْهِ فى المُلمَّات .

قال مبروك : أريدُ أَن أَفْهَم .

قالت : ستَفهم وتَفهم فأَصْغِ إلىَّ :

كان ملكُ هذه المدينةِ الظَّالِم قد رأى فى منامِه ذات ليلةٍ أَن طَائِرًا أَحْمرَ ذا رأْس أَسود قد حَطّ فوقَ رأْسِه فنقَره فِيه وغُشِى عَلَيْه ، ثم استيقَظ من نَومِه فزعًا ، وقَد ملأَ الرعبُ صدرَه من هذه الرُّؤْيا ،

فجمَع كبارَ المنجمين والمفَسّرين للأحلامِ فى مَدينتِه ، وقَصّ عَليْهم رؤْياهُ هذِهِ ، وطلبَ إليْهِم تأْويلَها ، وحذّرَهم أَن يُخْفُوا عليْه شيئًا من تأْويلها مَهْما يكُنْ من أَمْرِهِ ، فأَجمعوا على أَنه سيولد فى مدينتِه غُلام ذو لمة سوداء ، وشامة صَغيرة حَمراء تحت ثَديهِ اليُسْرى وقالوا :

إنّ هذا الغُلام خطر على مُلكك ، وسيكون مَبْعث متاعِبَ قاسية لا عِلمْ لهم بمَداها .

وكان الوزيرُ الأَكبر داهيةً فى المكرِ والخديعة ، فأَشار على الملكِ أَنْ يصدِرَ القرار الآتى :

لقد تنبأَ المنجمون بأَن المدينَةَ مقبلة على عهد سعيد ، ينعم فيه أَهلُها بالثراءِ الواسع والنعيم الدائم ، وذلك على يَدِ غلامٍ سيولد ، ويكون ذا لمة

كَثيفة سوداء ، وشامة صغيرة حمراء تحت ثديه اليُسْرى ، فمن يولد له هذا الغلام فليخْبرنا بمولده ، وليَسْعَ إلينا به ، لنمنَحَ والدَيه جائزةً سَنية ، ونمدهُما بالمال الكَثير ، حتى يَقُوما بتربيتِه تَربيةً كاملة فى رخاءٍ من العَيشِ ، وسَعة من المالِ ، وعِزة فى المنْشَإِ وحَتَّى يَخطو فى حياتِه خطوات سَريعة ، لنعجلَ إلى المدينة بالخير الذِى سيأْتِيها على يَديه .

قالت العجوز : ثم قال الوزيرُ الأَكبر :

وبهذا القرار يا مولاى لا يخشَى أَن يُكتم مولد هذا الغلام ، فكل أَبٍ وكل أُمٍّ يتمنيان أَن يكون لهما هذا الغلامُ الميمون ، وسيَسْعيان به إليك سعيًا ونحنُ هاجعون ، فإذا ما وقَعَ فى أَيدينا فأَمره يومئِذ لمولانا الملك .

قالت العجوز : وذلك ما فعله الملك ، فقدْ جاءه بكَ والدُك وأمر الملكُ بإبقائِكَ عندَه ليربيكَ فى قصرِه ، ولكنّه بعدَ أن تركك أبوك عندَه أَمرَ أن توضَع فى صُندوق ، وأن يغلقَ عليكَ إغلاقًا مُحْكمًا ، وأن تُلقَى فى اليَمّ ، وفعلَ كاتمُ أسْراره ما أَمَر الملك .

وشاء القدرُ أنْ تعلَق بِشبكة الصيادِ فحملك إلى داره ، وتبنّاك هو وزوجتُه ، وسمياك مبروكًا ، ومَنحاكَ حنانَ الأَبوين ، وكفلاكَ خير كفالة حتّى بلغْتَ مبلغَ الرجُولة .

واعلَمْ يا بَشيرُ أنه إنْ عرفَك الملكُ أَمَر الجلادُ بقتلكَ فى الحال ، فإذا أَنتَ فَرغْتَ من قتل وحشِ الغابة ، ودخلتَ برأْسِه المدينة ، وكنتَ فى حضرة الملك فأَعجلْه ، بسيفِك بعدَ أن تُبيّن لَه أمرك ،

وتَكشِفَ له عنْ حقيقةِ نفْسِكَ ، ولا تَترِكْ له فرصةً ينال فِيها مِنك .

فإذا فرغت مِنْ قتله آل إليكَ مُلكُه وكنتَ مَلكًا علىالمدينةِ ، ومَنحك أهلها محبّتَهم وتأْييدَهمُ ، وتزوجت ابنتَه وعشْتَ سَعيدًا . ولا تَنس أَبَويْك اللذين جئتَ مِن أَصلابِهما ، ولا أَبَويك اللذين حَافظا على حياتك ، ونشأْت فى أَحضَانِهما وكَفالَتِهما فَهل فَهِمت ؟

قال بشير : فهِمتُ ولكِ شكْرِى .

أَخذَ بشيرٌ المنظارَ من العجوز وخبّأَه فى جَيْبه ، ثم أَخذ سيفَه ورمحه ودرعه ، وانطلقَ إلى الملك يَعرضُ نفسَه عليه ليقتُلَ وحش الغابةِ ، ويجيئَه برأْسه ، ليحظَى بالمكافَأَةِ الملكية ، وهى زواجُه من ابنتِه ، واشتراكُه فى حكمِه .

ولما مَثُلَ بين يَدَيِ الملك وأخبَرَه أنه ذاهبٌ ليقتُلَ وحْش الغابة . قال له الملك :

هل عرفتَ مَصيرَ من خرجُوا من قبلِكَ إلى هذا الوحْشِ ولم يقتلوه ؟

قال بشير : عرفتُ أنّهم كانوا فريسَةً له .

قال الملك : اذهَب ولكَ ما شَرطت .

وشاع فى المدينة أن البطلَ مبروكًا سيأْتِيهم اليومَ برأس الوحش ، فرفعوا أيديَهم إلى السماءِ ، وتضرعوا إلى اللهِ أن يحفظه ويَنْصُرَه .

ولما خرجَ إلى العَراءِ ساعيًا إلى غابةِ الوحْشِ وضَع المنظَارَ على عَيْنَيه وسارَ قُدُمًا فى شجاعة وقوة ، وهناكَ استقبَلَه الوحشُ على حافةِ الغابة مُصَوّبًا إليه شُعَاعَ عَينه الأَحمر ، وانتَظرَ حتّى يَجمدَ أمامَه ، ثم

يهجم عليْهِ ويلف عليْه خرطومَه ويحْمله إلى مَأْواه ، ولم يحرك الوحشُ ساكنًا ، لأَنّه على يقين من أَنه سيَجمد فى أَيّةِ لحظة ، مهما يقتربْ منه . وما كاد الوحشُ يصيرُ فى متناولِ يَده حتى أَهْوى على عنقِه بَضربةٍ قوية من سَيفه ، ففصَل رأْسَه عن جَسدِه ، وارتمى الوحشُ جثة هامدة ، ثم انحنى بشيرٌ على الرأْس فحمله على سِنان رُمْحِه ، ورجعَ إلى المدينةِ يَخبُّ فى سَيره فرحًا فخورًا ، وما كاد أَهلُ المدينة يرونَه قادمًا إليْهم وهو يحمِل رأْس الوحشِ على سِنان رمْحِه حَتّى أُهرعُوا إليه كأَنّهم السّيل الذِى تَصَدّع سَدُّه ، أَو جماعات الطَّير أَفزعَها صوت المدفع ، وسار بينهم فى مَوكب عظيم حتى قَصر الملك ، وهنَاكَ وضَع الرأْسَ بَين يَديْه وقال له :

أَلستُ الآنَ جديرًا بأَن أَكون زوجًا لابنتِك وأَن أشركك في مُلكِك ؟

قال الملك : أُحبُّ أَن أَعرفَ من أَنْتَ ؟ ومَنْ أَيِّ بيتٍ في مدينَتِي قبلَ أَن أَفِيَ لكَ بشَرطي ؟

قال بشير : هبنِي من تَشاءُ ، فقد قتلتُ لكَ وحْشَ الغابة ، وأَتيتُكَ برأْسِه .

قال الملك : قد تكون من بيت غير كفءٍ لأَن أُصاهِرَه ، وإذا كانَ الأَمْرُ كذلكَ فلنْ أُبيح لنَفسِي أَن أَحُطَّ مِن قَدرِي بمصَاهرتِك .

قال بَشير : هَبْه غيرَ كفءٍ لِمصاهرَتِك ، أَلم يصبح الآن بفضْلِ شجاعَتي وقدرتي على ما لم يقدِرْ عليه شجاعٌ غيري جديرًا بمصاهرتِك ؟

قال الملك : ومَن أَنْتَ حتى ترفعَ الوضِيعَ وتُعِز الذَّليل ؟

قال بشير : أَنا ذلكَ الغلامُ الذِى أَلقَيتَه فى اليَمِّ لتتخلَّصَ مَن خَطرِهِ ومتاعِبِه ، أَنا بشير ابن فلان وفلانة ، أَنا الذِى انتهيتُ من وحْشِ الغابة ، والآنَ أَنْتهِى منَ وحْشِ المدينة وضرَب الملكَ بسيفِه ضَربةً أَلقَتْ رأْسَه بين يَدَيه .

ثم غرس رمْحَه فى صدر وزيرِه الأَكبر فمزق قلبه ووقع على الأَرض صَريعًا . وقال بشير :

وهذا وزيرك الماكرُ الذِى خدَعَ أَبَوى حتى أَسلمانى إِلَيْك .

وفى الْحَال سَمِع الهتاف من أَهل المدينة يُدوِّى

فى الجو ويقولون : بشير ملك علينا ، يحَيا الملك بشير . . .

أَصبح بشير ملكًا على المدينة وأَحضَر إليه أَبَوَيْه فَعرفَاه وفرحا لعودته وملكه ، وعاشا معه فى قصرِه ، كما أَحضر والديه اللذين ربياه وكفَل لهما عيشة راضية ، ثم زفتْ إليه ابنة الملك ، واستمتعت المدية فى عَهده بالعدل والرحمة والحرية الكاملة ، فى حدود القانون العادل والفضيلة .

فرغ الوالد من حكاية « الوحشان » فسر الأولاد وفرحوا ، ثم قال الوالد : موعدنا الليلة التالية حيث أحكى لكم حكاية أخرى من « حكايات الليالى » .

طاب مساؤكم يا أبنائى ، وتصبحون على خير .

رقم الإيداع	١٩٩٤ / ٨٣٣٦
الترقيم الدولى	ISBN - 977 – 02 – 4697 – 2

٧ / ٩٤ / ١٩٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

حكايات الليالى

هذه مجموعة من الحكايات الممتعة.. التى تعيد إلى الناشئة أجمل مافى الليل من تقاليد الأسرة العربية.. حينما يجلس الأب إلى أبنائه ويطلبون منه أن يقص عليهم قصة.. فيجيبهم ويحكى لهم واحدة من الحكايات.. تحمل الحكمة.. والطرافة.. والخيال.. بأسلوب سهل ميسر.

صدر منها:

١ - القيثارة الساحرة
٢ - بنت الصياد وابن الملك
٣ - الأخوة الثلاثة
٤ - فطانة القاضى
٥ - الفقير الطامح
٦ - القرد العجوز
٧ - الطائر المغرد
٨ - الأمير المغامر